بدلا من نعمة الله بدل اشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجا والمراد بالبلا النعمة وإذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجا وغيره بالعمل الصالح لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم إن عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفر عذابا شديدا ومن عادة الكرم الاكبر ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول محذوف او مفعول تأذن على انه جرى مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا من الثقلين فإن الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل لقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلب عليه الضحك او اسكاتا للانبيا وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبيا يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبيا التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به على زعمكم وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس ان لا تطمئن الى شيء قالت رسلهم أفي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله فاطر السماوات والأرض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة وهو كقولك دعوته لينصرني على اقامة اللام مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم إلى أجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه الدعوة فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئته تعالى وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله اي ليس لنا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى الى قوله وما لنا ألا نتوكل على الله اي اي عذر لنا ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم الرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى إليهم ربهم اي الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجرا الايحا مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الأرض من بعدهم اي ارضهم وديارهم لقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على اعدائهم

لغة

وعدا

او

او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبيا وقيل للفريقين فان كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من ورا حياته وحقيقته ما توارى عنك من خلف او قدام ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ما صديد عطف بيان لما وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لما او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد وتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله أعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقوله نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه واعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق ألم تر خطاب للنبي والمراد به امته وقيل لكل احد من الكفرة على التلوين أن الله خلق السماوات والأرض بالحق بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم وكونهم بتبديل الصور وتغير الطبايع قادر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزا وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم إنا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغايب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل أنتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد بنا طريق الخلاص سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا كلاما للفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمئة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الأمر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين إن الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فأخلفتكم جعل تبيين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي إلا أن دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح بالعداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا أنفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه ويكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما أنا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما أنتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة

Copyright Leipzig University